الأصلُ والجذور

قَدِمَ وفدٌ من الأقارب والأهل في بعلبك لبنان إلىٰ الزوية لزيارة أفرادِ عائلةِ الحرفوش. وكانوا في موكبٍ مَهيبٍ علىٰ خيولٍ مُضَمَّرةٍ أصيلةٍ ، ويرافقهم حُراسٌ وخَدَمٌ إنّهم أمراءٌ في منطقتهم وقد حكموا بَلْداتِ البقاعِ مدة أكثر من ثلاثمئة سنة منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي ، وقد استقلوا عن الدولة العثمانية مع عائلاتٍ لبنانيةٍ ثارت علىٰ حكمها ، وعندما سَيَّروا المحاربة هذه العائلات جيوشاً وحملاتٍ أخمدوها بالحديد والنار ، لاذَ هؤلاء بالفرارِ خوفاً علىٰ أبنائهم ونسائهم وانتشروا في أرجاء بلاد الشام ، وكان أن استقرَّت مجموعةٌ من آل حرفوش في قرى فيق والياقوصة وسكوفيا ، كما وصلوا إلىٰ جبال اللاذقية وجبل العرب والأردن ومنهم من هاجر إلىٰ أمريكا وأوروبا ، وقد تعرفنا علىٰ ضابطٍ مصري من هذه العائلة جاء مع القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة أثناء حكم الوحدة.

ـ جاء في وثيقةٍ في مجلة (كواليس) اللبنانية في عددها الصادر في تشرين أول عام ١٩٩٧م. ووَرَدَ في المجلة أن الأمراء

الحرافشة حكام بلاد بعلبك سابقاً ، وهذه العائلة اللبنانية امتازت بالبأس والقوة والسّطوَةِ ويرجعُ نسبُها إلىٰ الأمير حرفوش الخزاعي القحطاني ، وخزاعةُ كانت حلْفَ بني هاشم.

وقد ذُكِرَ في كتاب (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري المتوفىٰ سنة ٨٩٥م ، أن الإسكندر دخل مكة وعليها يومئذٍ خزاعة ، وبتحريض من النضر بن كنانة أخرج خزاعة منها وأسلمها له ، سار الأمير حرفوش الخزاعي مع سرايا الفتوح واستقرَّ في غوطةِ دمشق ، وعقدت له رايةٌ بقيادةِ فرقةٍ في حَمْلةِ القائد أبي عبيدة الجراح علىٰ بعلبك ، فأقام فيها وكثر نَسْلُه وأصبحوا من أعظم الأعيان إلىٰ أن تَسنىٰ لهم الاستقلال فيها وبالبقاع في أواخر عهد المماليك ، واستمر حكمهم حتىٰ عام ١٨٥٠م ، حيث صدر فرمان من الباب العالي العثماني بإلغاء حكمهم.

وأول سَنَدٍ تاريخي لأمراء بني حرفوش ذَكَرَهُ مؤرخ مدينة بيروت صالح بن يحيىٰ وتقولُ الرواية: إن الملك الظاهر برقوق استعان بالأمير علاء الدين الحرفوش ، الذي كانت له مكانة عليا في أيام ملوك الشراكسة عام ٧١٢هـ ، وكان قائداً لعشران البقاع في موقعة منطاش المشهورة علىٰ تركمان كسروان سنة ١٣٠٩م ، وأن الأمير علاء الدين استشهد في هذه المعركة.

وتوالىٰ حكم العائلة حتىٰ استقلوا بإمارتهم (بعلبك) والبقاع

الشمالي في سنة ١٥١٦م حين وقعت معركة مرج دابق في زمن الأمير علي بن موسى ، وجاء بَعْدَه الأمير إسماعيل الذي أعاد الإمارة ، أما آخرهم فكان الأمير محمد الحرفوش الذي حاربه وأنهى دوره مصطفىٰ باشا قائد عسكر الأتراك بالقرب من قرية معلولا سنة ١٨٦٦م ، وحاربت الدولة العثمانية هذه العائلة بالقتل والنفي ودام حكمهم حوالي ٣٣٦ سنة .

وقد هاجر قسْمٌ منهم تحت تأثير الظروف السياسية إلىٰ سورية وفلسطين ومصر وتركيا وإلىٰ أوروبا وأمريكا طلباً للعلم ، ومن نسل الأمير علي وذريته الأمير عباس ، ومنهم من وصلَ إلىٰ منطقة الزوية في سورية وأنشؤوا ثلاثة قرىٰ هي فيق وسكوفيا والياقوصة وتتبع مدنية درعا في حوران من بلاد الشام .

ومن حوالي ٢٠٠ عاماً وضع أفرادُ هذه العائلة اللَّبِناتِ الأولىٰ في تأسيس القرية علىٰ تَلّةِ سكوفيا العالية المشرفةِ علىٰ كل أنحاء بلاد الزوية ، وكثُر فيها البناء وكبرت الدور وتأسست المضافات وقُدِّمت فيها الأغذية والأرزاق ، وتوالدت النساء ، وكبر الأطفالُ وصاروا شباباً يملؤون الساحات والبيوت والطرقات ، وانهمك الجميع في إعلاءِ شأن قريتهم وصار شاعرها يُنْشِدُ ويغني :

يـا قـريـةً عِنـدَ السَّمـاءْ وأهلهـا بَلَغـوا الإبـاءْ
وكـان فيهـم كبـريـاءْ وصـار شـأنهـم الـولاءْ
وحـولهـا زرعٌ ومـاءْ والشمـس شَعَّتْ بـالضيـاءْ

وعن أصل تسميتها فمنهم من يرجعُ اسم (سكوفيا) إلىٰ

أساقفةٍ كانوا يسكنونها منذ القدم بعد ظهور السيد المسيح ، وإن كلمة سكوفيا تعني كذلك (الكسيح) باللغة السريانية القديمة ، وقد شُفِيَ فيها بمعجزة هذا النبي في هذه المنطقة وهو يَتَجوَّلُ بِرِفقةِ حواريِيه ، عندما أسسوا كنيسة الكرسي علىٰ شاطىء بحيرة طبريّا وتعَمَّدوا فيها .

* * *